

مدينة عطبرة - محطات وشذرات

كلية التربية - جامعة الخرطوم

أ.د. عصام إدريس كمتور الحسن

مستخلص:

هدف هذا المقال لإلقاء الضوء عن نشأة مدينة عطبرة وما يرتبط بذلك من جغرافيا وطبيعة سكانية لمدينة تعد من أشهر وأهم المدن السودانية حيث تقع في ولاية نهر النيل وتبعد عن العاصمة الخرطوم مسافة ما يقارب 310 كم؛ ومن ثمّ استعراض بعض الملامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية لتاريخ عطبرة المعاصرة تلك المدينة التي نالت السيادة والريادة على ساير مدن السودان، الشامخة المترابطة اجتماعياً، مدينة الحديد والنار، رائدة الكفاح، ومهد الحركة النقابية وصانعة الثورات، وهي ترسم لوحة زاهية في الصمود والنضال عبر الأزمان.

الكلمات المفتاحية: عطبرة؛ ولاية نهر النيل؛ عاصمة الحديد والنار؛ مدينة عطبرة محطات وشذرات.

Atbaracity - Stations and Nuggets

Prof. EsamEdrisKemtor Al hassan

Faculty of Education - University of Khartoum

Abstract:

The aim of this article is to shed light on the birth of the city of Atbara and the related geography and demographic nature of a city that is one of the most famous and most important Sudanese cities. It is located in the state of the River Nile and is approximately 310 Km. away from the capital Khartoum. And then reviewing some of the cultural, social, economic and sports features of the contemporary history of Atbara, the city that gained sovereignty and leadership over the other Sudanese cities, the lofty socially interconnected, the city of iron and fire, the pioneer of struggle, the cradle of the union movement and the maker of revolutions, and it paints a bright picture of steadfastness and struggle through the times.

Keywords: Atbara; River Nile State; The capital of iron and fire; Atbara city - Stations and Nuggets.

نشأة مدينة عطبرة:

تقع مدينة عطبرة في ولاية نهر النيل بالسودان وهي تبعد عن العاصمة الخرطوم مسافة ما يقارب 310 كم، ويبلغ عدد سكانها حوالي 192,528 نسمة، وتعتبر عطبرة مدينة مقرون كالخرطوم؛ إذ يلتقي فيها نهر عطبرة، وذلك قبل أن يصب مجرى نهر النيل في البحر الأبيض المتوسط. هذا وتمثل قرية الداخلة النشأة الأولى لمدينة عطبرة؛ حيث تم اختيارها عام 1898م في أعقاب سقوط الحاميات العسكرية في أبو حمد وبربر لما تمثله من موقع استراتيجي مهم، تحفه الأنهار من جهتي الجنوب والغرب. وبوصول خط السكة الحديد من الشمال في منتصف العام 1898م إلى منطقة الداخلة بدأت النقلة النوعية وأصبحت المدينة محط الأنظار. كانت تُعرف المدينة قديماً باسم أتبرا- قبل استبدال حرف التاء بطاء - وهي مُشتقة في اللغة العربية من كلمة (تتبر) والتي تعني التدمير، أو التحطيم، أو الهلاك، وجاءت التسمية من هيجان نهر عطبرة وفيضانه؛ حيث كان هذا النهر يفيض في الاتجاه الشمالي الغربي وينحدر بسرعة كبيرة في سهولها المنبسطة، الأمر الذي سبب انجرافاً وتحطيماً لكل ما يقع في مجراه أو يكون على حواف ضفافه من عمران وبشر. ومع مرور الوقت تم استبدال حرف التاء بالطاء لتسمى باسمها الحالي.

السكان:

تعد فترة ما بعد العام 1950م هي مرحلة التطور الحقيقي في المدينة، بعد انتشار الأحياء السكنية الجديدة لأول مرة، والبدء في إعادة تخطيط معظم الأحياء القديمة بما يتماشى مع التطور الحديث. ومن ضمن مشاريع إعادة التخطيط ترحيل منطقة الأنادي إلى شرق المدينة؛ حيث تم تخطيطها كمناطق سكنية من الدرجة الثالثة، وفي نفس العام أُعيد تخطيط قرية الداخلة القديمة كمناطق سكنية من الدرجتين الثالثة والثانية إلى الشرق من القرية القديمة. وكان من نتائج زيادة عدد السكان في المدينة، والحاجة إلى مساكن جديدة؛ ظهور منطقة المزاد في شرق المدينة في العام 1960م، وفي العام 1962م أنشئت منطقة درجة ثانية بين منطقة المزاد والقلة للمواطنين الذين لم يُسمح لهم بدخول منطقة المزاد الأولى. وفي إطار التوسع الذي حدث للمدينة تم في العام 1968م توزيع أراضي سكنية في شمال المدينة وإلى الجنوب من خط سكة حديد عطبرة - بورتسودان لأولئك السكان الذين تأثروا بإعادة تخطيط قرية السيالة، كما خُصصت منطقة المطار في شمال شرق المدينة كمناطق سكنية أيضاً لسكان قرية السيالة لعدم استيعابهم جميعاً في المنطقة الأولى حيث تم اختيار مطار عطبرة الجديد في خارج الحدود الشمالية الشرقية للمدينة. وبالمقابل فقد اختارت مصلحة السكة الحديد آنذاك منطقة في شرق حدود المدينة للبضائع والتخزين وذلك لمجابهة التوسع المتزايد في منشآتها. كما تم تخصيص منطقة مساحتها 100 فدان للقيادة الشمالية العسكرية. وفي هذا السياق فقد أضيفت هذه المناطق مجتمعة إلى حدود المدينة وهكذا تشكلت المدينة بصورتها الحالية. ومن الأحياء الرئيسة في المدينة؛ الداخلة، المورد، السيالة، حي السوق، الحصايا، المربعات، أمبكول، السكة حديد، حي العمال، خليوة، الإمتداد الشمالي، الإمتداد الشرقي، وحي المطار.

الجغرافيا والمناخ:

تقع مدينة عطبرة عند إلتقاء نهر عطبرة بنهر النيل، وذلك قبل أن يصب مجرى نهر النيل في البحر الأبيض المتوسط على إرتفاع 350 متراً عن مستوى سطح البحر، وعلى خط الطول 59، 33 شرقاً. وتبعد عن الخرطوم حوالي 310 كلم وعلى بعد 474 كلم غرب مدينة بورتسودان؛ الأمر الذي جعل منها موقعاً قريباً من الميناء والعاصمة القومية. ويسود المدينة المناخ الصحراوي الجاف، حيث تتميز بارتفاع درجات الحرارة فيها في معظم أيام السنة. بالمقابل ترتفع المدينة قليلاً في أجزائها الشرقية والشمالية عن مناطقها الأخرى، وتدرج في الانخفاض نحو نهر النيل ونهر عطبرة، حيث الخضرة وكثرة الأشجار، بينما يسيطر الجفاف على المناطق الشمالية والشرقية التي تبعد عنها، وكان جراً ذلك أن ظهرت المجاري المائية فيما يُعرف بالأخوار بكثرة في هذه المنطقة، والتي أثرت بدورها في تحديد طريقة العمران واتجاهاته إلى حد كبير؛ حيث توجد ستة مجاري مائية رئيسة، ثلاثة منها في الاتجاه الشمالي الجنوبي، أي أنها تنحدر من الشمال وتصب في نهر عطبرة.

وتمتد المجاري الثلاثة الأخرى في الاتجاه الشرقي إلى ناحية الغرب، وتصب في النيل الرئيس. وثلاثتها توجد في منطقتي السيالة والداخلية شمال غرب المدينة، وتسهم هذه المجاري مجتمعة في تصريف مياه الأمطار.

النقل والمواصلات:

تمثل مدينة عطبرة ملتقى مواصلات مميز؛ ترتبط مع أجزاء القطر المختلفة بخطوط السكة الحديد والطرق. وقد أدى هذا الموقع المميز إلى اختيارها رئاسة ومركزا للسكك الحديدية. بحيث تتفرع من عطبرة الخطوط الحديدية إلى بورتسودان عبر الصحراء الشرقية، وإلى وادي حلفا شمالاً على طول الصحراء النوبية وإلى الخرطوم العاصمة جنوباً؛ ولذلك فهي مركز مواصلات يربط الموانئ الرئيسة بالعاصمة، كما أنها تمثل حلقة وصلًا أهم المراكز العمرانية التي في ولاية نهر النيل، حيث مدينة بربر في شمالها ومدينة الدامر في جنوبها.

النشاط الثقافي:

مكتبة عطبرة:

تعد مكتبة عطبرة البلدية هي أول مكتبة في مدينة عطبرة؛ حيث أنشئت في العام 1954م والتي زخرت بالعديد من الكتب والمراجع الأدبية والعلمية والسياسية. وكان يرتادها معظم طلاب مدارس عطبرة والموظفين والمعلمين. وقد حظيت المكتبة بأمناء مكتبة بذلوا الغالي والنفيس في سبيل تطويرها والارتقاء بما تقدمه من خدمات نذكر منهم على سبيل المثال؛ بابر محمد الخير، وخوجلي حسن، عبد الله عبد الرحيم، وفاطمة عبيد الله. وقد احتضنت المكتبة مؤخرًا منتدى الفكر والحوار والذي ما فتئ يعقد ندواته كل يوم ثلاثاء كما استقبلت المكتبة العديد من المعارض؛ لعل أشهرها معرض المليون كتاب والذي أقيم في ديسمبر / يناير 1991/90م

رابطة أصدقاء نهر عطبرة الأدبية:

كان مولد رابطة أصدقاء نهر عطبرة الأدبية في الفترة ما بين 56 - 1957م وتُعد بمثابة أول كيان ثقافي وفكري منظم في مجتمع مهياً لهكذا أنشطة وفعاليات. تعرّف الناس على الرابطة من خلال ما تقيمه من ندوات ومحاضرات، ومن خلال رموزها الذين كانوا ينشرون إنتاجهم الفكري في الصحف اليومية، بيد أن الرابطة حُلّت في العام 1958م مع بداية الحكم العسكري الأول. وفي منتصف سبعينات القرن العشرين الميلادي وبمبادرة من الشاعر حاج حمد عباس (رحمه الله) وآخرين؛ تم إحياء رابطة أصدقاء نهر عطبرة مرة أخرى وذلك بدار الجراوية والتي استمرت فترة من الزمن في إقامة الندوات والمحاضرات والقراءات النقدية، ليتجدد نشاطها وفعاليتها الثقافية ثانية في العام 2000م بدار اللجنة القومية لتطوير عطبرة، وإبان هذه الفترة أفلحت اللجنة في طباعة دواوين الشاعر حاج حمد عباس، وفي نفس الفترة (منتصف السبعينات) شهدت عطبرة عدة محاولات لإصدار صحف ولعله من أبرزها صحيفة الرياضي في العام 1978م وصحيفة النخيل

في العام 1980م وصحف النيل اليوم في العام 2010م بالإضافة إلى صحيفة صوت النيل والتي صدر أول أعدادها في العام 2013م.

المنتديات والمهرجانات:

شهدت عطبرة ومنذ العام 2000م قيام العديد من المنتديات الثقافية نذكر منها على سبيل المثال؛ منتدى الغناء الشعبي بدار فن الغناء الشعبي ومنتدى الثلاثاء الذي استضافه نادي العاملين بوزارة المالية في عطبرة، ومنتدى الإثنين الثقافي، ومنتدى الفكر والحوار والذي بدأ فعالياته بوزارة الثقافة لينتقل في مرحلة لاحقة إلى مكتبة البلدية بعطبرة. وفي العام 2013م أقيم مهرجان النيل للأغنية الوطنية لأول مرة بمسرح النيل بمدينة عطبرة والذي شاركت فيه بالإضافة لولاية نهر النيل؛ ولايات الشمالية، الخرطوم، البحر الأحمر وقد كانت شخصية المهرجان الشاعر والكاتب والممثل السر قدور. وفي العام 2008م تأسس منتدى أبناء عطبرة الثقافي والذي اهتم بتنظيم العديد من الفعاليات والنشاطات الثقافية والاجتماعية، ولعل من أبرز ما قام به المنتدى تكريمه لأستاذ الأجيال عبد الرحمن عبد الله مؤسس مدرسة عطبرة الثانوية واحتفاله السنوي بذكرى استقلال السودان.

النشاط الرياضي:

عرفت عطبرة النشاط الرياضي منذ عشرينات القرن العشرين الميلادي؛ وعليه تُعد من أوائل المدن السودانية التي عرفت كرة القدم؛ حيث تم تأسيس دار الرياضة بعطبرة (أستاذ عطبرة) في العام 1927م. وفي نفس العام شهدت المدينة زيارة تاريخية قام بها فريق الأمراء المصريين برئاسة اللواء صالح حرب وعلى هامش هذه الزيارة قام بإهداء درع عُرف بدرع الأمراء المصريين على أن تتبارى عليه فرق المصالح الحكومية، بيد أن الإنجليز آنذاك تركوا هذا الدرع حبيسًا حتى العام 1938م وبدلاً من تخصيصه لفرق المصالح الحكومية جعلوا أندية المدينة والتي كانت في ذلك الوقت أن تتبارى عليه والأندية هي : توماس، الدار، النيل، الأمير، الوطن، الإتحاد والشبيبة. وأقيمت أول منافسة في العام 1939م والتي فاز بها نادي الأمير.

ظل إتحاد كرة القدم بعطبرة ومنذ بداياته تديره إدارة قوامها من الإنجليز برئاسة مستر وليامز مدير عام السكة الحديد. ونظرًا للإقبال المتزايد على نشاط كرة القدم؛ تم إعادة بناء دار الرياضة في العام 1954م وكانت قيادة الإتحاد آنذاك يرأسها المهندس أمين محمد علي السنجاي وهو أو رئيس سوداني لإتحاد كرة القدم بعطبرة ليتم إفتتاح دار الرياضة في يوم 4 مارس 1954م بتشريف السيد يحيى الفضلي وزير الشؤون الاجتماعية في ذلك الوقت وقد شارك فريق المريخ أم درمان في الإفتتاح ومنذ ذلك الوقت بدأت مدينة عطبرة المشاركة في المنافسات القومية؛ فكانت مشاركة كل من نادي الهلال والنسري أول في أول بطولة لكأس السودان في العام 1955م والتي تأهل فيها الهلال تأهل لقبل نهائي الكاس أمام أهلي الخرطوم ليخسر بهدف دون مقابل.

وفي العام 1963م شهدت المدينة نقلة نوعية في مجال كرة القدم وذلك بتنفيذ إضاءة أستاذ المدينة كثاني أستاذ في السودان بعد أستاذ الخرطوم وقد كان رئيس الاتحاد آنذاك عبد الرحمن أحمد محبوب. لتتواصل مشاركات الأندية صعودًا وهبوطًا في المنافسات القومية ولعل أبرز هذه المشاركات كانت في نوفمبر 1964م حيث تأهل فريق الشاطئ إلى نهائي كأس السودان بملاقاة فريق الهلال أم درمان في ووقتها حيث قدم فريق الشاطئ مباراة كبيرة أشادت به الصحف الرياضية ووقف نداءً قويًا لفريق الهلال ليخرج مهزومًا بهدف يتييم. وبالمقابل كان لأندية الأمير، المريخ، النيل، الأمل والشبيبة مشاركات مميزة في كأس السودان قبل أن تحدث أندية عطبرة تلك القفزة الكبيرة في خارطة الكرة السودانية بدخول أندية الأمل لمنظومة الدوري الممتاز في العام 2003م ليتبعه كل من أندية الأهلي والشمالى والفلاح:

نادي الأمل الرياضي:

يقع نادي الأمل في حي المورددة بعطبرة وقد كان تأسيسه في العام 1945/ 1946م وبعد مسيرة عطاء حافلة وإنجازات داوية داخل وخارج عطبرة؛ حُظي النادي في العام 2003م بمشرف أول فريق من مدينة عطبرة ينضم لمسيرة الدوري السوداني الممتاز. تميز نادي الأمل بقاعدة جماهيرية متفردة ما فتئت تؤازر الفريق في حله وترحاله وهو يجوب مناطق السودان المختلفة. ليتوج ذلك في موسم 2010/ 2011م عندما احتل الفريق المركز الرابع ممثلًا للسودان في منافسة الاتحاد الإفريقي (الكونفدرالية) ليلعب أولى مبارياته ضد الفريق الرواندي والذي فاز على الأمل في مباراة الذهاب بهدفين مقابل لا شيء ليفوز الأمل بنفس النتيجة في مباراة الإياب والتي أُقيمت باستاد عطبرة في 28 مايو 2010م بعد ملحمة كروية خالدة أظهرت أصالة قاعدة الأمل الجماهيرية في مساندة الفريق لتصل المباراة لركلات الجزاء الترجيحية والتي حُسمت للأمل ليصعد للمرحلة الثانية ويلتقي بفريق كوستا دي سول من دولة موزمبيق لتنتهي مباراة الذهاب لصالح الأمل بأربعة أهداف مقابل هدفين، وفي مباراة الإياب فاز الفريق الموزمبقي بثلاثة أهداف مقابل هدفين ليتأهل الأمل للمرحلة التالية لملاقاة فريق بلوزداد الجزائري لينتصر الأمل في مباراة الذهاب بهدف مقابل لا شيء، وفي مباراة الرد فاز فريق بلوزداد بهدفين نظيفين ليخرج الأمل من البطولة مرفوع الرأس بعد أن أبلى بلاءً حسنًا ليجد استقبالًا كبيرًا في مطار الخرطوم.

سجل فريق الأمل اسمه بأحرف من نور في منظومة بطولة الدوري الممتازهما حققه من إنتصارات داوية لعل من أبرزها إنتصاره الشهير على المريخ العاصمي في موسم 2003م بهدف عبد الرحمن الفكي لتتوالى إنجازاته أمام قمتي الكرة السودانية الهلال والمريخ؛ ليكرر إنتصاره على المريخ العاصمي بهدف وذلك في موسم 2013م باستاد المريخ، ليتبعها تعادله الإيجابي مع المريخ بهدف لكل بعد أن كان الأمل متقدمًا حتى الدقيقة الثالثة من الزمن بدل الضائع في مباراة شهيرة أُقيمت باستاد بورتسودان في أعقاب حرمان الأمل من جمهوره من قبل الاتحاد السوداني لكرة

القدم عقابًا للفريق جرّاء تصرفات بعض جماهيره. كما تعادل الفريق مع الهلال العاصمي أكثر من مرة لعل آخرها تعادله معه في موسم 2013 / 2014م.

نادي الأهلي الرياضي:

كانت بداية تأسيس النادي في العام 1951م وفي العام 1972م تم تجميد النشاط الرياضي للنادي ليتم فك تجميد الفريق وعودة إعماده ضمن منظومة الإتحاد المحلي لكرة القدم بعطبرة في أعقاب إفتتاح دار النادي في مايو 2083م. وفي إنجاز يحسب للنادي صعد الفريق للدرجة الثانية في موسم 1996 / 1997م وفي الموسم التالي كان صعوده للدرجة الأولى، وفي الأعوام 2002م، 2003م، 2004م، 2005م فاز ببطولة دوري الدرجة الأولى بعطبرة ليتأهل الفريق لبطولة الدورة الممتاز في موسم 2005م. وشاء الأقدار أنيتعثّر الفريق ويتزل عن بطولة الدوري الممتاز ويهبط للدرجة الأولى في موسم 2007م. ليصعد ثانية للدوري الممتاز في العام 2013م ليحقق في نفس الموسم إنجازًا تاريخيًا ويفوز بالمركز الرابع في بطولة الدوري الممتاز ويحتل السودان في بطولة الإتحاد الإفريقي (الكونفدرالية) إلا أنه خرج من الدور الأول أمام فريق إم كي الكونغولي بالتعادل الإيجابي بهدف لكل فريق في مباراة الذهاب بالكونغو والتعادل السلبي في مباراة الإياب باستاد عطبرة.

نادي الشمالي الرياضي:

يقع النادي في حي الإمتداد الشمالي بعطبرة، حيث كان تأسيس النادي في العام 1974م، لينضم لمنظومة أندية الدرجة الثالثة بالإتحاد المحلي لكرة القدم بعطبرة في العام 1990م وفي العام 1997م صعد الفريق للدرجة الثانية ليواصل إنجازاته ويصعد للدرجة الأولى عام 1999م ليحجز بطولة أندية الدرجة الأولى بعطبرة في العام 2007م.

شكل موسم 2008م علامة فارقة في تاريخ النادي وهو يصعد للدوري الممتاز، غير أن النادي لم يصمد كثيرًا في الدوري الممتاز ليهبط للدرجة الأولى في عام 2009م.

نادي الفلاح الرياضي:

تشابه إلى حد كبير أسس تكوين الأندية الرياضية بعطبرة فمعظمها جاء نتاج تكاتف وجهود أهل الحي أو المنطقة التي يوجد فيها النادي وعلى هذا النحو تأسس نادى الفلاح الاجتماعى الثقافى الرياضى فى العام 1948م بمبادرة من بعض شباب منطقة كنور وهو من أقدم الأندية التي تأسست بشمال مدينة عطبرة. وبعد محاولات عديدة تحقق للنادي ما يتمناه وصعد للدوري الممتاز في موسم 2018م / 2019م لينضم إلى أندية الأمل والأهلي ليكون للمدينة بذلك ثلاثة أندية في الدوري الممتاز آنذاك، غير أن الفريق لميعمر كثيرًا فهبط من الدوري الممتاز في موسم 2021 / 20

لعبت الطرق الصوفية والخلوى دوراً مهماً في إنتشار التعليم بعطبرة إبان حقبة العقد الأول من القرن العشرين الميلادي.

فقد شهدت عشرينات القرن العشرين الميلادي قيام المدرسة الغربية الأولية بمنطقة السكة الحديد ثم أعقبها المدرسة الشرقية الأولية، ثم قامت المدرسة الجنوبية في حي المربعات والمدرسة الشمالية بنات بحي السوق. ومن المدارس التي نشأت في هذه الفترة مدارس الفجر والتعاون بحي المربعات ومدرسة الإصلاح في حي السوق ومدرسة السعادة بحي الداخلة.

هذا وتعد المدرسة الأميرية بحي السودنة بعطبرة أول مدرسة متوسطة بنين يتم تأسيسها بمدينة عطبرة لتتبعها المدرسة الأهلية المتوسطة في العام 1948م. وفي بداية الخمسينات من القرنالميلادي المنصرم تم إنشاء أول مدرسة متوسطة للبنات بعطبرة وهي الأميرية المتوسطة للبنات والقابعة بجوار كبري عطبرة القديم.

شهدت مدينة عطبرة إبان فترة الاستعمار الإنجليزي إنشاء العديد من مدارس الجاليات الأجنبية؛ حيث قانت مدارس الإرساليات الأمريكية والأمريكية ثم مدارس الأقباط بنات وبنين والتي توقفت في العام 1995م. وفي العام 2000م تم بيع مدرسة الأقباط الثانوية لجامعة وادي النيل. ليتم تخصيصها لكلية الطب بالجامعة.

من جانب آخر فقد شهد العام 1948م بداية دخول التعليم الأهلي المصري لمدينة عطبرة ومن ثمّ تم إنشاء المدرسة الأهلية المصرية في العام 1963م وذلك في موقعها الحالي جوار ملعب نادي الشبيبة الرياضي. وفي العام 1953م تم إنشاء مدرسة عطبرة الصناعية. وفي العام 1954م كان تأسيس مدرسة عطبرة الثانوية الحكومية ذائعة الصيت والتي تأتي في الترتيب الخامس على مستوى المدارس السودانية، ويليهام بعام تم تأسيس مدرسة عطبرة الصناعية.

وفي العام 1966م نال الطالب محمود محمد شريف المرتبة الأولى على مستوى الشهادة الثانوية السودانية ليتبعه الطالب الطيب الريح والذي أحرز المركز الأول في العام 1974م وفي العام 1978م نال الطالب جمال عابدين حامد المرتبة الأولى بينما أحرز الطالب أحمد عبد الله محمد الحسن ذات المرتبة في العام 1993م. لتحرز الطالبة إسرائ صلاح المركز الأول على مستوى الشهادة الثانوية السودانية وذلك في العام 2019م. وبالمقابل وفي العام 1965م بدأ إنتشار التعليم الأهلي السوداني وذلك بإنشاء مدرسة الجلود الثانوية (حاليًا مدرسة عطبرة الثانوية الجديدة). وفي نفس العام أنشأت نقابة عمال السكة الحديد مدرسة العمال المتوسطة بنات. وفي العام 1967م شهدت المدينة قفزة كبيرة في التعليم حينما بادرت إدارة السكة الحديد بإنشاء ما عُرف بمدرسة الخدمات الاجتماعية تحت إدارة مدير مصلحة الخدمات الاجتماعية بالسكة الحديد طيب الذكر المرحوم محمد السيد الشعار حيث ضمت المدرسة عدة أُنهر؛ ثم قسمًا متوسطًا للبنات والبنين. ونظرًا لما ظلت تعانيه مدينة عطبرة من عدم توفر مدارس ثانوية للبنات؛ حتى منتصف سبعينات القرن العشرين الميلادي؛ كان الإسهام المقدر للجنة القومية لتطوير عطبرة بقيادة الراحل الأمين محمد عبد المجيد وهي تقدم مشروع متكامل لإنشاء مدرسة ثانوية للبنات في العام 1988م ليلتقط القفاز

السيد كمال حمزة الحسن رئيس روابط أبناء عطبرة بدولة الإمارات العربية المتحدة والذي تكفل بتحمل تكلفة إنشاء المدرسة؛ فكان أن أوفى بوعده واقترح تسمية المدرسة مدرسة الشيخ حمد الثانوية بنات لتتطلق المدرسة الوليدة من نجاح لنجاح وتتعدد إنجازاتها لتحرز المرتبة الأولى على مستوالم مدارس الثانوية في الشهادة السودانية وذلك في العام 1996م. ليتوالى إنشاء العديد من المدارس الثانوية الأهلية منها مدرسة مدرسة الخدمات بنات ومدرسة الشهيد خالد خضر الثانوية بنات بحي الامتداد الشمالي، والمدرسة الثانوية الجديدة.

فيما يلي التعليم العالي؛ فالمدينة تحتضن إدارة جامعة وادي النيل والتي تأسست في العام 1990م؛ حيث كانت كليتي الهندسة الميكانيكية والتي تأسست في العام 1971م وكلية التربية هما النواة الأساسية للجامعة. وتطورت الجامعة وأصبحت تضم بالإضافة إلى كليتي الهندسة والتقنية وكلية التربية؛ كليات أخرى موزع بعضها في أنحاء ولاية نهر النيل وهي: الزراعة، الطب والعلوم الصحية، الاقتصاد والعلوم الإدارية، الشريعة والقانون، علوم الحاسوب وتقانة المعلومات، الآداب، المعلمين، بالإضافة إلى كلية المعادن وعلوم الأرض. فضلاً عن ذلك تضم الجامعة وحدة للتعليم المفتوح وعدد من المراكز البحثية. كما توجد بالمدينة جامعة عطبرة الأهلية الشهيرة التي تحتوي على العديد من الكليات في مختلف التخصصات الجامعية.

القطاع الصحي:

يعود إنشاء مستشفى عطبرة إلى العام 1908م ليجد كل الدعم والعون من إدارة السكة الحديد في ذلك الوقت باعتبار أن منسوبيهما يمثلون أغلبية مرتادي المستشفى والمستفيدين من ما تخدمه من خدمات صحية ولعله من أبرز ملامح هذا الدعم؛ توفير بعض منازل السكة الحديد للأطباء والكوادر الفنية المساعدة وتأمين الإمداد الكهربائي والمائي. ومع ازدياد القوى العاملة في المستشفى وظهور الاختصاصيين في مجال الجراحة والباطنية والنساء والتوليد؛ بدأ التوسع في مباني المستشفى فألحقت بها العديد من المباني؛ فأنشأت السكة الحديد مباني الصحة المهنية (الحميات حالياً) وأقامت مؤسسة الراحل محمد أحمد السلمي قسماً للأطفال، ثم أضاف السيد يس محمود قسماً جديداً للولادة لتجئ أكبر الدعومات للقطاع الصحي عبر لجنة تطوير عطبرة خلال العامين 1988/ 1989م وذلك بتأهيل المراكز الصحية بالمدينة، وإمداد مستشفى عطبرة بكمية من الأجهزة والمعدات الطبية بتبرع سخي من أبناء عطبرة بدول مجلس الخليج العربي ليتواصل الدعم من قبل روابط أبناء عطبرة من دولة الإمارات والسعودية بتأمين المزيد من المعدات والتي أسهمت في تطوير الخدمات الصحية والعلاجية بالمستشفى.

وبنهاية ثمانينات القرن العشرين الميلادي بدأت المرافق الصحية الخاصة في الظهور؛ حيث كانت البداية بمستوصف الحكمة بحي الدرجة، ومستوصف صبرة بحي الفكي مدني وسرعان ما تم إغلاق المستوصفين بعد فترة قصيرة من بداية عملهما. ليتبع ذلك إنشاء المستوصف القبطي بالسكة

الحديد. وفي مرحلة لاحقة تم تطوير عيادة الجيش إلى مستشفى القوات المسلحة بمعسكر الجيش الشرقي وتطورت بالمقابل عيادة الشرطة إلى مستشفى الشرطة ليقدم خدماته لكافة المواطنين بالمدينة. ومن أبرز التطورات في القطاع الصحي إنشاء مجمع التأمين الصحي بسوق عطبرة والذي تم تزويده وتجهيزه بالعديد من المعدات والتجهيزات الطبية الأمر الذي جعله مؤهلاً لتقديم خدماته الصحية لجميع المواطنين داخل وخارج عطبرة.

القطاع الصناعي:

يتمثل القطاع الصناعي لمدينة عطبرة بصورة أساسية في صناعة الأسمنت، حيث حُظيت المدينة بإنشاء أول مصنع للأسمنت في السودان في عام 1947 (مصنع أسمنت عطبرة) كقطاع خاص تحت مسمى أسمنت بورتلاند عطبرة وذلك بشركة مساهمة برؤوس أموال أغلبها أجنبية ويقع المصنع على بعد حوالي 2,5 كيلومتر جنوب كبرى نهر عطبرة وشرق نهر النيلين طريق الإسفلت الذي يصل مدينتي عطبرة والدامر. وفي عام 1970م (عهد مايو) تم تأميم المصنع وأطلق عليه اسم مؤسسة ماسبيو للأسمنت وأضيف إلى مؤسسات القطاع العام الصناعي.

في عام 1985م صدر قرار بتحويل اسم الشركة إلى شركة أسمنت عطبرة المحدودة. وفي العام 1993م حصلت الشركة على الجائزة الماسية للجودة من المكسيك، كما نال في العام 1994م جائزة النجم الذهبي العالمية في اسبانيا نتيجة الإنتاجية ذات الجودة العالمية. وفي أواخر العام 2002م تمت خصخصة الشركة وتم بيعها لمجموعة رجل الأعمال المعروف الشيخ سليمان الراجحي وقد بذلت مجموعة الراجحي جهداً مقدراً في سبيل ترقية العمل بالمصنع وحل كثير من المشكلات التي كانت تقف حجر عثرة في زيادة الإنتاج، وكان نتاج ذلك أن زادت إنتاجية المصنع وأصبح ينتج أكثر من 5700 طن من الأسمنت يومياً. وبوجد حالياً بجانب مصنع أسمنت عطبرة مصنعاً آخر للأسمنت وهو مصنع السلام للأسمنت. وبالمقابل توجد في عطبرة واحدة من أقدم محطات توليد الكهرباء بالسودان، تقع بجوارها المحطة الرئيسة لتوزيع الطاقة الكهربائية علي مستوى السودان بعد اكتمال سد مروحي.

الجاليات:

يتواجد بمدينة عطبرة عبر تاريخها ومنذ العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي - في أعقاب الحرب العالمية الثانية - عدد من الجاليات؛ يبرز من بينها الجالية الهندية، اليمنية، الإغريقية بالإضافة للجالية المصرية.

الجالية الهندية بعطبرة:

بدأ دخول الهنود إلى مدينة عطبرة عبر أحد تاجر الأقمشة المعروف يُسمى هاريداس كارسنداس وذلك في ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي، ليتبعه آخرون ويبرز من بينهم الحلاق الشهير شارترابورج رامجي. ويُعد ديرو جلال شاه (وهو أحد أبناء هاريداس كارسنداس) علامة فارقة في تاريخ الجالية الهندية بمدينة عطبرة؛ حيث أصبح جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي

بالمدينة وهو يشارك مواطنيها في أفراحهم واتراحهم؛ الأمر الذي أكسبه محبة وتقدير جميع أهالي عطبرة كما ظل سنّدًا وعاونًا لفئة المعاقين بمساعدة زوجته والتي توفرها الأجل المحتوم في العام 2010م، يقدمون بكل تجرد ونكران ذات كل ما يدخل البهجة والفرحة على المعاقين، وبالمقابل كانديرو جلال شاه يُخصّص يوميًا وجبة إفطار لكثير من الفقراء بالمدينة. وظل ديرو شاه على هذا المنوال يوجد بما لديه إلى أن غادر عطبرة في العام 2012م، حيث ودعته المدينة عن بكرة أبيها في يوم إنساني مشهود جسد أوامر الإخاء والعلاقات التاريخية المتينة التي تربطه مع أهالي مدينة عطبرة طوال أكثر من خمسين عامًا.

الجالية اليمنية بعطبرة:

مع بدايات القرن العشرين وفي العام 1905م بدأت أول رحلات اليمنيين من عدن إلى السودان للمساعدة في بناء ميناء بورتسودان في أعمال التشييد وأعمال الميناء من شحن وتفريغ ومنها بدأت هجرة اليمنيين إلى مدن السودان المختلفة ومنها مدينة عطبرة ليعيش عدد منهم بين أهالي عطبرة ردًا من الزمن في جو تسوده الإلفة والمودة والوئام وتوطدت العلاقات وتعززت الروابط الاجتماعية بين الطرفين. وكان للشيخ المرحوم محمد صالح السده الذي يعتبر أشهر شيوخ الجالية اليمنية الذين عاشوا في عطبرة؛ دور كبير في توطيد العلاقات بين الشعب اليمني وسكان مدينة عطبرة مما أكسبه تقدير واحترام أهالي عطبرة الأمر الذي جعل منه حلقة وصل بين اليمنيين والعطبرايين في كل صغيرة وكبيرة. ومن قدامى اليمنيين الذين قطنوا عطبرة وظلوا منارات بالمدينة وامتد بهم العمر الشيخ سعد محمد يحيى والذي تجاوز عمره المائة عام عندما توفي ولا زال أبناؤه وأحفاده يقيمون بمدينة عطبرة.

عمل معظم اليمنيين بعطبرة في البداية كبائعي خبز وجالبي مياه ومنهم من تخصص في العمل بالمطاعم (صناعة الفول المصري). كما عمل عدد مقدر منهم في مجال التجارة لذا فقد فضل معظم اليمنيين السكن بحي السوق قرب موقع متاجرهم، كما تم توظيف عدد من اليمنيين بهيئة السكة الحديد. ونظرًا لطبيعة اليمنيين والتي كانت أقرب للطبع السوداني فقد كان من البسير أن تتطور روابط الدم بينهم والسودانيين عبر عدد من الزيجات المتبادلة والتي ظلت باقية إلى يومنا هذا لم يعكر صفوها شيء. وعند اكتشاف البترول في اليمن في بداية ثمانيات القرن العشرين الميلادي بدأت الهجرة العكسية لليمنيين من مدينة عطبرة عائدين إلى بلدهم اليمن لتتأثر مدينة عطبرة بذلك فخفت حركة المدينة وأظلمت سماؤها المضيئة وعلتها سحابة من الحزن؛ كيف لا وهم بلا شك مثلوا جزء من تاريخ عطبرة الحديث أسهموا في تشكيل وجدان الإنسان العطبراي بنبههم وظهرهم وعفافهم.

الجالية المصرية بعطبرة:

كان أول إرتباط للجالية المصرية بمدينة عطبرة من خلال مساهمة العمال المصريون في بناء مباني السكة حديد حيث لا زال آثار المعمار المصري إلى يومنا هذا. وفي أعقاب ثورة 1924م

بقيادة البطل علي عبد اللطيف ورفاقه؛ سجلت الكتيبة العسكرية المصرية موقفًا تاريخيًا وهي تتمرد في ذلك الوقت وتقف بجانب جماهير المدينة المؤيدة للثورة بل شارك أفراد من الكتيبة في الاحتجاجات التي نظمها مواطني عطبرة، وكان جزءًا من ذلك أن استشهد عدد من أفراد الكتيبة المصرية في تلك الاحتجاجات، الأمر الذي دفع بالمستعمر لإنهاء خدمات الكتيبة العسكرية المصرية وإعادتها فوراً إلى مصر.

من جانب آخر فقد برز دور الجالية المصرية بوضوح في مجال التعليم؛ حيث أنشأ المصريون العدد من المدارس الابتدائية والإعدادية والتوجيهية حيث انتدب إليها نخبة مميزة من المعلمين المصريين وكان أن التحق بها الكثير من أبناء وبنات عطبرة. فضلاً عن ذلك من المهم الإشارة إلى بعثة الأزهر الشريف للوعظ والإرشاد والتي كانت تأتي لعطبرة كل عام قبل شهر رمضان المبارك.

بقي أن نقول أن المصريين من الجالية المصرية ربطتهم عواطف جياشة وعلاقات متينة مع مواطني مدينة عطبرة فأثمر هذا الترابط والتآخي عن بعض الزيجات الناجحة بين الطرفين.

الجالية الإغريقية بعطبرة:

يعود تاريخ الجالية الإغريقية بعطبرة إلى العام 1905م؛ عندما انتقلت رئاسة السكة الحديد من وادي حلفا إلى عطبرة؛ حيث صاحب ذلك وصول عدد من الجاليات الأجنبية وبضمنهم مجموعة من الأغاريق وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي بالمدينة، حيث اشتغل نفرٌ منهم بالسكة الحديد كما عمل البعض بمكتب الزراعة والصحة بالمدينة ومنهم من امتهنت التجارة. وظل أثر الجالية الإغريقية بعطبرة ممتداً حتى قيام الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918م حين أثر عدوٌ منهم العودة إلى بلادهم. ومن رموز الجالية الإغريقية والذين تركوا أثراً اجتماعياً واقتصادياً ملموساً في عطبرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر شكار غلو والذي كان يمتلك مصنعاً للزراير والتي كانت تُصنع من الدوم. وليوناردو سارقولوقس والذي كان مسؤولاً عن مكتب الزراعة بالمدينة والذي خلق بدوره علاقات وصلات وثيقة مع كثير من أهالي مدينة عطبرة، حيث كان يتبادل مع كثير منهم الزيارات والهدايا. كما نخص بالذكر أيضاً دكتور فتحي عثمان والذي كان يعمل طبيباً للأسنان وكان من عشاق كرة القدم حيث كان من مرتادي استاد عطبرة، كما عمل رئيساً لنادي المريخ بعطبرة فترة من الزمن علماً بأنه قد تزوج من امرأة سودانية.

خاتمة:

كانت هذه شذرات من تاريخ عطبرة المعاصر وبعض المحطات الثقافية والاقتصادية والرياضية لعلها لم تجد حظها في النشر. وتظل عطبرة المدينة الأكثر صلة بتاريخ السودان؛ تلك المدينة الشامخة المترابطة اجتماعياً ملء السمع والبصر والتي نالت السيادة والريادة على ساير مدن السودان، مدينة الحديد والنار، رائدة الكفاح عبر الأزمان، ومهد الحركة النقابية وصانعة الثورات وعرين الرجال، وهي ترسم لوحة زاهية في الصمود والنضال. وقد لعبت المدينة دوراً مهماً وحاسماً في نجاح ثورة ديسمبر 2018م؛ يوم أن غيرت مسار الاحتجاجات الشعبية آنذاك من مطالب معيشية إلى أخرى سياسية كانت نقطة الإنطلاق وشرارة الثورة لإسقاط نظام الإنقاذ.

المراجع :

- (1) حسن أحمد الشيخ (2015م). عطبرة أنشودة الصبر والصمود.
- (2) محمد سعيد القدال (2002م). تاريخ السودان الحديث. أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني.
- (3) محمد عمر بشير (1987م) تاريخ الحركة الوطنية. بيروت: دار الجيل.
- (4) الناصر عبد الله أبو كروك (2008م). عطبرة أم المداخن. مطبوعات العيد المئوي لمدينة عطبرة.
- (5) Edward M. Spiers (Hrsg.)(1998). Sudan. The Reconquest Reappraised. Routledge, New York



مدخل مدينة عطبرة



عطبرة - السكة الحديد



كبري عطبرة



عطبرة وثورة ديسمبر 2018م



نهر عطبرة